مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أعمال الرسل ١٦:١٦–٣٤)

في تلكَ الأيام فيما نحنُ الرسلَ مُنطلِقون إلى الصلاةِ استَقبَلَتنا جاريةٌ بها روحُ عِرافَةٍ وكانت تكسِبُ مَواليها كَسباً جزيلاً بعِرافتِها* فطفِقت تمشي في إثرِ بولسَ وإثرِنا وتصيحُ قائلةً هؤلاءِ الرجالُ هم عبيدُ اللهِ العلي وهم يبشّرونكم بطريقِ الخلاص* وصنَعَت ذلكَ أياماً كثيرة فتضَجَّرَ بولسُ والتفتَ إلى الروحِ وقالَ إني آمرُكَ باسمِ يسوعَ المسيحِ أن تخرُجَ منها. فخرجَ في تلكَ الساعة* فلمَّا رأى مواليها أنَّه قد خرجَ رجاءُ مكسَبِهم قبَضوا على بولسَ وسيلاَ وجرُّوهما إلى السوق عندَ الحكام* وقدَّموهما إلى الوُلاةِ قائلين إن هذينِ الرجُلَين يُبلبلان مدينَتَنا وهما يهوديَّان* ويُناديان بعادات لا يجوز لنا قبولها ولا العملُ بها إذ نحنُ رومانيُّون* فقامَ عليهما الجمعُ معاً ومزَّقَ الولاةُ ثيابَهما وأمروا أن يُضربا بالعِصيِّ* ولما أثخنوهما بالجراحِ ألقَوْهُما في السجنِ وأوصَوا السجَّانَ بأنْ يحرُسَهُما بضَبطٍ* وهو إذ أُوصِيَ بمثلِ تلكَ الوصيَّةِ ألقاهُما في السجنِ الداخلي وضبطَ أرجلَهما في المِقطَرَة* وعندَ نصفِ الليلِ كانَ بولسُ وسيلا يُصلّيان

أحد الأعمى

العدد ٢٠٠٩/٢١

الأحد ٢٤ أيار

أحد الأعمى

تذكار أبينا البار سمعان

الذي كان في الجبل العجيب

اللحن الخامس

إنجيل السَحَر الثامن

يشكّل أحد الأعمى الحلقة الخامسة من سلسلة الآحاد التي تلي عيد الفصح، والتي تركّز فيها الكنيسة، من بين عدّة أمور، على البشرى بالقيامة التي نحن المؤمنين، الذين استنرنا بنور قيامة ربّنا من بين الأموات، مدعوّون إلى نشرها في كلّ العالم. لذلك نجد بالإجمال عنصرين أساسيّين في كلّ حدث تتلوه الكنيسة على مسامعنا في هذه الآحاد، أحدهما يتعلّق بالتدخّل الإلهي والآخر يتعلّق بردّة الفعل التي هي إعلان هذا التدخّل. أضف إلى ذلك بعض النقاط التي لها صلة بالشخص أو الأشخاص الذين كانوا الوسيلة التي استخدمها يسوع لنقل البشارة؛ فهناك توما وحاملات الطيب والمخلّع والمرأة السامريّة والأعمى.

من الملاحظ أنّ الرب يسوع، في الأحداث الخلاصيّة التي نقرأها في الآحاد التي تلي عيد الفصح (باستثناء أحد حاملات الطيب)، والتي هي من إنجيل يوحنا، هو الذي يتدخّل، أي هو الذي يأخذ المبادرة. وفي نهاية المقطع الإنجيلي هناك دائماً إعلان عن الرب يسوع.

في حدَث شفاء الأعمى الذي نقرأه في الأحد الخامس بعد الفصح نسمع أن يسوع رأى إنساناً أعمى منذ مولده، فأخذ المبادرة وتفل على الأرض وصنع من تفلته طيناً وطلى بالطين عيني الأعمى، وطلب يسوع منه أن يذهب ويغتسل في بركة تسمّى سلوام، فمضى الأعمى واغتسل فشُفي. هذا الحدَث أدّى إلى نشوء صراع بين الفريسيين وبين الأعمى نفسه؛ بين الفريسيين الذين لم يستطيعوا قبول فكرة أنّ من يخالف الشريعة، أي مَن لا يحفظ السبت، قادر أن يقوم بعمل إلهي وبالتالي يكون من الله، وبين الأعمى الذي لم يستطع إلاّ التأكيد على أن مَن فعل معه هذه المعجزة لا يمكن إلاّ أن يكون من الله. وفي آخر المقطع الإنجيلي يجد يسوع الأعمى الذي يعترف في آخر المطاف أن يسوع هو ابن الله.

هذا الصراع في الواقع تنقله لنا الكنيسة من خلال تلاوتها لهذا

ويُسبّحانِ اللهَ والمحبوسونَ يسمعونهما* فحدثت بغتةً زلزلةٌ عظيمةٌ حتى تزعزعت أُسُسُ السجن. فانفتحت في الحال الأبوابُ كلُّها وانفكّت قيودُ الجميع* فلمّا استيقظَ السجّانُ ورأى أبوابَ السجنِ إنها مفتوحةٌ استلَّ السيفَ وهمَّ أن يقتُلَ نفسَهُ لظنِّه أنَّ المحبوسينَ قد هربوا* فناداه بولُسُ بصوتٍ عالٍ قائلاً لا تعمَلْ بنفسِك سوءاً فإنّا جميعَنا ههنا* فطلبَ مصباحاً ووثبَ إلى داخلٍ وخرَّ لبولُسَ وسيلا وهو مُرتعِدٌ* ثمَّ خرج بهما وقال يا سيديَّ ماذا ينبغي لي أن أصنعَ لكي أخلُصَ* فقالا آمِنْ بالربِّ يسوعَ المسيحِ فتخلُصَ أنت وأهلُ بيتِك* وكلّماهُ هو وجميعَ مَن في بيتهِ بكلمةِ الربِّ* فأخذهما في تلكَ الساعةِ من الليلِ وغسَلَ جراحَهما واعتمدَ منَ وقتِهِ هو وذووهُ أجمعونَ* ثمَّ أصعدهما إلى بيته وقدَّم لهما مائدةً وابتهج مع جميعِ أهلِ بيته إذ كان قد آمن بالله.

الإنجيل

(يوحنا ٩: ١–٣٨)

في ذلك الزمان فيما يسوعُ مجتازٌ رأى إنساناً أعمى منذُ مَوْلِده* فسأله تلاميذُهُ قائلينَ يا ربُّ مَن أخطأ أهذا أم أبواه حتى وُلدَ أعمى* أجابَ يسوعُ لا هذا أخطأ ولا أبواهُ. لكن لتظهرَ أعمالُ اللهِ فيه* ينبغي لي أن أعملَ أعمالَ الذي أرسلني ما دام نهارٌ. يأتي ليلٌ حين لا يستطيع أحدٌ أن يعملَ* ما دُمْتُ في العالمِ فأنا نورُ العالم* قال هذا وتفلَ على الأرضِ وصنعَ من تفْلتِهِ طيناً وطلى الحدَث الخلاصي، وللأحداث الأخرى التي ذكرناها سابقاً، تنقله إلى كلّ واحدٍ منا. فنحن عندما نسمع هذه التلاوة الإنجيلية لا يمكننا أن نقف موقف المتفرّج، وكأنّ ما يحدث هو مسرحية يقدّمها لنا بعض الممثلين على خشبة المسرح، ونحن نشاهدها وقد نتأثّر فنتفاعل مع الأحداث خارجيًّا، وعند نهايتها نعود إلى بيوتنا. هدف الكنيسة هو أن تضعنا في قلب الحدَث، وهي تريدنا أن نأخذ موقفاً شخصياً من الحدَث، فإمّا أن نكون مثل الفريسيين الرافضين ليسوع، أو أن نكون مثل أهل الأعمى الذين خافوا من أن يُخرجوا من المجمع، وإمّا أن نكون مثل الأعمى الذي اعترف بأنّ يسوع هو ابن الله.

موقف الفريسيين هو موقف الحاسد، ويظهر ذلك من خلال التحقيقات التي أجروها مع الأعمى ومع أهله. لقد أطلق الفريسيون حكماً مسبقاً على يسوع على أنّه لا يمكن أن يكون مرسَلاً من الله لأنه لا يحفظ السبت. ولم تكن غاية تحقيقهم التأكّد من صحّة ما حدث، بل على العكس كانت غايتهم إنكار حقيقة ما جرى. لا بد من الإشارة هنا إلى أنّ الفريسيين هم الجماعة المؤمنة التي تحفظ الشريعة، وبالتالي فإنّ موقفهم هذا قد يتّخذه أيّ واحد منا نحن الذين نعتبر أنفسنا من مصاف المؤمنين، وقد نأخذ موقفاً سلبياً عندما نضع الربّ في أطر جامدة لا نقبل أن يتخطّاها أحدٌ ولو كان الربّ نفسه.

أمّا موقف الأهل فكان موقف الخائف، فالحقيقة ظاهرة وهي أن ابنهم كان أعمى منذ مولده وأنّ الربّ يسوع شفاه وهذا يعني أن يسوع هو من الله، ولكنّهم كانوا خائفين من الفريسيين الرافضين الذين قرّروا أن يُخرجوا من المجمع كلَّ من يعترف بأن يسوع هو مرسل من الله. أن يُخرج إنسانٌ ما من المجمع يعني أن يكون منبوذاً، وهذا ما قد يخيفنا نحن فلا نأخذ موقفاً واضحاً، أو نستحي من الربّ يسوع فلا نعلن إيماننا به خوفاً من الإضطهاد.

ولكن موقف الأعمى كان واضحاً، فإنّ ما حدث لا يمكن أن يكون إلاّ من الله، ولا يمكن لأحد إنكار ذلك ولو حاول بكلّ الوسائل إثبات العكس. ونحن نفهم من هذا أنّ الكنيسة تريد منّا أن نأخذ موقف الأعمى الذي لا يهمّه رأي الآخرين في يسوع. طالما أنّنا اختبرنا عمله الإلهي فينا لا يمكننا إلاّ أن نعترف مثل الأعمى بأن يسوع هو في الحقيقة ابن الله الذي أحبّنا وبذل نفسه لأجلنا.

إنّ العمى في نظر الكنيسة ليس هو العمى العضوي بل هو عمى القلب، لذلك هناك ارتباط أساسي في قصة الأعمى بين معرفة يسوع وبين الإبصار. فإنّ البصر لا يكفي لمعرفة يسوع وهذا يظهر من خلال ما نقرأه في الإنجيل ومن خلال ما نصادفه في حياتنا حتى أيامنا هذه. لذلك تدعونا الكنيسة المقدّسة إلى أن نطلب من الربّ أن يفتح أعين قلوبنا، لأنّ أعيننا الجسديّة غالباً ما لا ترينا حقيقة الأمور، وخاصة الإلهية منها. أمّا الإيمان فهو من القلب، والله يخاطب قلوبنا لا بل يطلب منّا أن نراه بأعين قلوبنا حتى يحلّ فيها بالإيمان، وهو الذي أعلن لتوما بعد القيامة أن «طوبى للذين لم يروا وآمنوا» (يو٢٠: ٢٩).

بالطين عينَي الأعمى* وقال له اذهبْ واغتسِلْ في بِرْكةِ سلوامَ (الذي تفسيرهُ المرسَل). فمضى واغتسلَ وعاد بصيراً* فالجيرانُ والذين كانوا يَرَوْنهُ من قبلُ أنّه كان أعمى قالوا أليس هذا هو الذي كان يجلِسُ ويستعطي. فقال بعضُهم هذا هو* وآخَرون قالوا إنّه يُشبهُهُ. وأمّا هو فكان يقولُ إنّي أنا هو* فقالوا له كيف انفتَحت عيناك* أجابَ ذاك وقال إنسانٌ يُقالُ له يسوعُ صنعَ طيناً وطلى عينيّ وقال لي اذهبْ إلى بِركةِ سلوامَ واغتسِلْ. فمَضَيتُ واغتَسَلتُ فأبصَرْتُ* فقالوا له أين ذاك. فقال لا أعلمُ* فأتوا به أي بالذي كان قبلاً أعمى إلى الفريسيين* وكان حين صنعَ يسوعُ الطينَ وفتح عينيهِ يومُ سبتٍ* فسألَهُ الفريسيون أيضاً كيف أبصرَ. فقالَ لهم جعلَ على عينيَّ طيناً ثمَّ اغتسلتُ فأنا الآن أبصرُ* فقال قومٌ من الفريسيين هذا الإنسانُ ليس من اللهِ لأنّه لا يحفظُ السبتَ. آخرون قالوا كيف يقدِرُ إنسانٌ خاطئٌ أن يعملَ مثلَ هذه الآيات. فوقع بينهم شِقاقٌ* فقالوا أيضاً للأعمى ماذا تقولُ أنت عنه مِنْ حيثُ إنّه فتح عينيك. فقال إنّه نبيٌّ* ولم يصدِّق اليهود عنه أنّه كان أعمى فأبصر حتى دعُوا أبَوي الذي أبصر* وسألوهما قائلينَ أهذا هو ابنُكما الذي تقولان إنّه وُلد أعمى. فكيف أبصرَ الآن* أجابهم أبواهُ وقالا نحن نعلمُ أنّ هذا ولدُنا وأنّه وُلد أعمى* وأمّا كيف أبصرَ الآن فلا نعلمُ أو مَن فتح عينيه فنحن لا نعلمُ. هو كاملُ السنّ فاسألوه فهو يتكلّم عن

الأول بين الخطأة

يتساءل البعض لماذا على الإنسان المسيحي أن ينكّس رأسه دائماً نحو الأرض ويعلن انه إنسان خاطئ. أليس الأمر مدمّراً لنفسيته وشخصيته أن يقول دوماً انه خاطئ؟ إقرار الإنسان بأنه خاطئ هو ركن أساسي في طريق الإنسان نحو التوبة والمصالحة مع الله والذات والبشر. فالإقرار بالخطأ هو دليل على وعي هذا الإنسان لوضعه. ان المشكلة تصبح أصعب بكثير إذا لم يعِ الإنسان هفواته وظنّ انه بارٌ في جميع أعماله، وبالتالي ان حياته الروحية بخير، ولا يعرف ان التغيير واجب. لذا، وفي إطار تذكير الكنيسة المؤمنين بحاجتهم إلى التوبة، كثيراً ما ترد في صلواتنا الليتوجية عبارة «ارحمني أنا الخاطئ»، أو «يا الله اغفر لي أنا الخاطئ وارحمني». كذلك يشجع الآباء الروحيون أبناءهم على تلاوة صلاة يسوع المرتكزة على إقرار الإنسان بخطيئته: «يا رب، يا يسوع المسيح ابن الله، ارحمني أنا الخاطئ». الرسول يوحنا الحبيب يقول ان مَن لا يعترف انه خاطئ فهو كاذب ولن ينال غفران خطاياه: «إن قُلنا إنّه ليس لنا خطيئةٌ نُضِلُّ أنفسنا وليس الحقُّ فينا. إن اعترَفنا بخطايانا فهو أمينٌ وعادِلٌ حتى يغفِرَ لنا خطايانا ويُطهِّرنا من كُلِّ إثم. إن قُلنا إنّنا لم نُخطِئ نجعَلهُ كاذِباً وكلمتُه ليست فينا» (١ يو ٨–١٠).

يزداد التذمر لدى البعض عند قراءتهم إحدى الصلوات التي تُتلى قبل المناولة في القداس الإلهي: «أؤمن يا رب وأعترف أنّك أنت هو بالحقيقة المسيح ابن الله الحي الذي أتيتَ إلى العالم لتخلِّص **الخطأة الذين أنا أوَّلهم**...». يقولون انهم لا يمانعون مبدأ الإعتراف بأنهم خطأة، ولكن لماذا عليهم القول «الخطأة الذين أنا أوَّلهم» وهم يعرفون أناساً أسوأ منهم بكثير وربما لديهم جرائم كبيرة. ما يدعم شعورهم هذا هو جو المجتمع العام الذي نعيش فيه حيث لا مكان للتواضع بل لعزة النفس (عزة نفسي لا تسمح لي)، وحيث يتدرب الإنسان منذ طفوليته مع أهله ومدرسته على النظر عاليا إلى الذات والنظر برضا إلى كل ما يقوم به.

عبارة «الخطأة الذين أنا أوّلهم» مقتبسة مباشرة مما كتبه الرسول بولس إلى تلميذه تيموثاوس: «وأنا أشكُرُ المسيحَ يسوعَ ربَّنا الذي قوَّاني أنَّه حسبني أميناً إذ جَعَلَني للخِدمةِ أنا الذي كنتُ قبلاً مُجَدِّفاً ومُضطَهِداً ومُفتَرياً. ولكنَّني رُحِمتُ لأنّي فعلتُ بجهلٍ في عَدَمِ إيمانٍ ، وتفاضَلَت نِعمةُ ربِّنا جدًّا مع الإيمانِ والمحبَّةِ التي في المسيحِ يسوعَ. صادِقةٌ هي الكلمةُ ومُستحِقَّةٌ كُلَّ قُبولٍ أنَّ المسيحَ يسوعَ جاءَ إلى العالمِ ليُخلِّصَ الخطأةَ الذينَ أوَّلُهم أنا» (١ تيمو ١: ١٢–١٥). كلنا نعرف أن الرسول بولس هو الذي حمل البشارة إلى معظم أقطار المسكونة في زمانه وأسس الكنائس الكثيرة، لكنه يقول انه أول الخطأة. فالذي يختبر نعمة الرب ويتعمَّق في الحياة الروحية لا يعود ينظر إلى خطايا غيره من البشر ليتلهى بها. المهم أن ينظر الإنسان إلى داخله ويفحص ذاته ويفرح برحمة الرب الذي تجسد ليخلّصه هو شخصياً. كلما اقترب

نفسه* قال أبواهُ هذا لأنَّهما كانا يخافانِ من اليهود لأنَّ اليهود كانوا قد تعاهدوا أنه إنِ اعترفَ أحدٌ بأنَّه المسيحُ يُخرَجُ من المجمع* فلذلك قال أبواهُ هو كاملُ السنِّ فاسألوهُ* فدعوا ثانيةً الإنسانَ الذي كانَ أعمى وقالوا لهُ أعطِ مجداً لله. فإنا نعلمُ أنَّ هذا الإنسانَ خاطئٌ* فأجاب ذاك وقال: أخاطئٌ هو لا أعلمُ. إنَّما أعلمُ شيئاً واحداً أنِّي كنت أعمى والآنَ أنا أُبصِرُ* فقالوا له أيضاً ماذا صنعَ بك. كيفَ فتحَ عينَيْك* أجابهم قد أخبرتكم فلم تسمعوا. فماذا تريدون أن تسمعوا أيضاً. ألعلَّكم أنتم أيضاً تريدون أن تصيروا له تلاميذ* فشتموه وقالوا له أنت تلميذُ ذاك. فأمَّا نحن فإنا تلاميذُ موسى* ونحن نعلمُ أنَّ اللهَ قد كلَّم موسى* فأمَّا هذا فلا نعلمُ من أين هو* أجابَ الرجلُ وقال لهم إنَّ في هذا عجباً أنَّكم ما تعلمونَ من أين هو وقد فتح عينيَّ* ونحن نعلم أنَّ اللهَ لا يسمعُ للخطأة. ولكن إذا أحدٌ اتقى اللهَ وعملَ مشيئتَهُ فله يستجيب* منذ الدهر لم يُسمَع أنَّ أحداً فتح عينَيْ مولودٍ أعمى* فلو لم يكن هذا من اللهِ لم يقدرْ أن يفعلَ شيئاً* أجابوه وقالوا له إنكَ في الخطايا قد وُلدتَ بجملتِك. أفأنت تعلمنا. فأخرجوهُ خارجاً* وسمع يسوعُ أنَّهم أخرجوه خارجاً. فوجدهُ وقال له أتؤمنُ أنت بابنِ اللهِ فأجاب ذاك وقال فمَن هو يا سيِّدُ لأومنَ به* فقال له يسوعُ قد رأيتَهُ والذي يتكلَّمُ معك هو هو* فقال له قد آمنتُ يا ربُّ وسجد له.

الإنسان من الرب ووعى عظمة الرب والفداء الذي قام به لكامل البشر كلما أدرك صغره ووعى عِظَم حجم الخطايا التي يرتكبها وإن كانت صغيرة، لأنها تخون محبة الرب.

لا يتحدث الرسول بولس في هذه الآيات عن اعتداد النفس أو التواضع، إنما يتحدث عن النعمة التي اختبرها مع المسيح. فهو يذكر خبرته الخاصة كمجدِّف ومضطهِد ومفتر كبرهان ودليل على عظمة محبَّة الله وغفرانه. وكل واحد يمكن أن يكون لديه الخبرة ذاتها إذا شرّع نفسه أمام رسالة إنجيل المسيح. لذا نرى الرسول شاكراً المسيح لما ينعم عليه برحمة. لم ينسَ الرسول خبرته على طريق دمشق، عندما كان ذاهباً ومعه الإذن باضطهاد المسيحيين. احتقر يسوع وأتباعه وجدّف عليه، لكن الرب أحبّه وأعاده إلى صوابه بالنعمة والمحبة. لم يختر بولس خدمة الرب يسوع، بل الرب يسوع هو الذي اختاره، وهو الذي اختار الرسل الآخرين «ليس أنتم اخترتُموني بل أنا اخترتُكم وأَقمتُكم لتذهبوا وتأتوا بثَمر» (يو ١٥: ١٦)، ويختارنا نحن بنعمته. ليس هناك شعور أعظم من أن يحس الإنسان بأنه مختار من الرب لهدف معين، عندها سوف تجد الحياة معناها الأسمى في هذا الوعي. يريد الله من كل واحد منا أن يعلن ملكوته ويشهد له في الكون، وقد اختارنا بنعمته المجانية لهذه المهمة. لذا لا بد أن نشكره على نعمته مقرّين بعدم استحقاقنا.

الرسول بولس كان يعلم ان لديه القدرة والقوة لكي يتمِّم مهمته، رغم ضعف جسده، ذلك لأن نعمة الرب هي التي كانت تفعل فيه: «ولئلاَّ أرتفِعَ بِفرطِ الإعلاناتِ أُعطيتُ شوكةً في الجسدِ ملاكَ الشيطانِ ليلطمني لئلاَّ أرتفِعَ. من جهةِ هذا تضرَّعتُ إلى الربِّ ثلاث مرات أن يُفارِقَني، فقال لي تكفيكَ نِعمتي لأنَّ قُوَّتي في الضَّعفِ تُكمَلُ. فبكُلِّ سرورٍ أفتَخِرُ بالحريِّ في ضعفاتي لكي تحلَّ عليَّ قُوَّة المسيح» (٢ كورنثوس ١٢: ٧–٩). لقد علم الرسول ان الرب غفر خطاياه التي ارتكبها ضد الكنيسة، وهكذا قيّد الرب بولس بمحبته الغافرة وصالحه وأعاده من غربته. لم يغفر له فقط بل وثق به وأوكل إليه أمر البشارة. ومهما كان يحصل معه على الأرض كان الرب معه. عندما يتوب الإنسان ويقر بخطاياه، تمحى هذه الخطايا.

محبَّة الله أعظم من كل شيء في الدنيا. مَن يختبرها لا تشكل له عبارة «الخطأة أنا أوَّلهم» أيَّة مشكلة لأن الفرح بنعمة الرب أعظم.

عيد الصعود الإلهي

بمناسبة عيد صعود ربنا وإلهنا ومخلِّصنا يسوع المسيح يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس صلاة الغروب عند السادسة من بعد ظهر الأربعاء ٢٧ أيار وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الخميس ٢٨ أيار في كنيسة بشارة السيدة وستجري خلال القداس سيامة الشماس جورج كاهناً.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb